التدبير النبوي في التعليم

وأثره في نماء علم الحديث

إعداد

د. عبد الرحمن بن نويفع بن فالح السّلمي

الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة

جامعة أم القرى

التدبير النبوي في التعليم

وأثره في نماء علم الحديث

د. عبد الرحمن بن نويفع بن فالح السُّلمي

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد أرسل الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، بالتعليم، والتزكية، وإقامة دين الله في أرضه، ومقارعة الباطل والهيمنة عليه. فاستلزم ذلك أعمالا كثيرة، بدءً من إزالة القناعات والعقائد الباطلة، وإحلال القناعات والعقائد الصحيحة محلها، ثم بناء الشخصية الإنسانية بتكميل صفات الخير والجمال فيها، ثم بناء الجماعة المسلمة المتعاونة المتكافلة، وانتهاءً إلى إقامة دنيا الناس على وفق عقائدهم الصحيحة وأخلاقهم الفاضلة الحسنة= فأيده بوحيه، ووفقه للنجاح وبلغه إياه، واختصه بصفات الكمال البشري الذي لم يجتمع في غيره، فكان نتاج عمله البَرّ الدءوب أن حَرَف مسار البشرية من الظلمة إلى النور، فلا تزال في ضياء ما سارت على نهجه، ولن يزال على نهجه أقوام في كل زمن يقلون ويكثرون.. يقيم الله بهم الحجة على البشر، ليبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار.

فعلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، ثم قُطفت ثمرات تعليمه في أمته: هيمنة عالمية عادلة، وريادة طويلة.. في سائر الشئون الإنسانية، وعبر قرون عديدة.

والمتأمل لحال التعليم في زماننا في سائر مؤسساته، وهو في كل زمان حجر الزاوية في صرح حضارة الأمم= يجد أنه قد أحاطت به مشكلاتٌ عدة تسببت في تأخير نهوض الأمة وتقدمها لمكانتها اللائقة بها، مشكلاتٌ تتمثل ملخصةً في ضعف: أهلية المدرس، أو المنهج الدراسي، أو الهمة عند الطالب، أو أدوات التعلم، أو كلها مجتمعةً.

ومحور هذه العناصر وأهمها على أهميتها كلِّها هو (المعلم)، فالمعلم القدير يجب عليه أن يتغلب على كافة الصعوبات، فيكمِّلُ نقص المنهج الدراسي، ويبعث الهمة عند الطالب، ويحقق أعلى النتائج بأقل الأدوات.

ولكن الشأن كلّ الشأن هو أن المعلم المتمكنَ من علمه، والذي يبذل كل جهده في قاعة الدرس ويصل بالطلاب إلى قمة التفاعل والفهم، صار يأتي في موعد الدرس (القادم) فلا يجد في معقول طلابه من ذلك العلم الذي تحصلوا عليه شيئًا يذكر!

لقد أصبح العلم بمعزل عن حياة الناس، إذا سألتَ عنه قالوا لك إنه هناك! دونه تلك الأسوار العالية، أسوار الجامعات والمعاهد والمدارس!

لقد أصبح العلم مسجونًا في قاعات الدراسة.

فإذا أردت أن توجد البديل فتُلقِيَ علمًا في المسجد (مثلا) أو في مكان آخر؛ لم يتوفر لك من النظم المساعدة والطلاب المتفرغون المواظبون ما يتوفر لأولائك المختبئون وراء تلك الأسوار العالية!

فما هو الحل إذن؟

أكُتِبَ على العلم أن يكون حبيس تلك الأسوار؟ يولد فيها ويزهو ويتزين ثم يذبل وينقص وينتهي.

ثم كيف لنا أن نصل إلى مرحلة نجد فيها المعرفة التي أوصلناها للطالب معه متى ما سألناه؟

وكيف لنا أن نصل إلى طريقة نطلق فيها سراح العلم ليخرج إلى المجتمع من وراء تلك الأسوار العالية؟

وكيف لنا أن ننهض ببرامج تنمية المعرفة والمهارات لدى طلابنا بطرقٍ سهلة لا تكلف كثيرًا، ولكنها تحقق أعلى ما يمكن تحقيقه منها؟

وكيف حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ ذلك في زمن قصير؟

كانت هذه التساؤلات سبب كتابة هذا البحث، وفق الهيكلة التالية:

- **المقدمة.**
- **تمهيد:** التدبير النبوى وأهميته.
- **المبحث الأول:** التدبير النبوي في التعليم، وبه مطالب.
- **المبحث الثاني:** أثر التدبير النبوي في التعليم على نماء علم الحديث.
- **المبحث الثالث:** أوجه الاستفادة العلمية المعاصرة من التدبير النبوي.
- **الخاتمة.**
- **الفهارس.**

ونحن إنما نتوجه للسنة النبوية بحثًا عن حلول المشكلات التربوية؛ لأننا على يقين بأن السنة قد حوت أصول طرائق الهداية في شتى المجالات الإنسانية، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقام في أمته زمنًا كافيًا لتركهم في كل زمان على البيضاء الواضحة، وأنه كان حريصًا عليهم رؤوفًا بهم رحيمًا. فلا أقل من استفادة طريقته في تعليم العلوم الإسلامية خاصة، فهو مصدر هذه العلوم بالنسبة لنا، القرآن هو بلغه

وهو أعرف به، والسنة سنته، وتغير الظروف والأحوال على مستمر الزمان قد راعاه عليه الصلاة والسلام؛ فأسس لدينه الخاتم ليبقى إلى آخر الزمن. فلا بد أن يكون في السُّنة حلٌ لمشكلات التعليم في زماننا.

وقد جعلت منهجي في هذا البحث استخراج الطريقة التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم من جملة مواقفه التعليمية التي حوتها الأحاديث الصحيحة في كتب الصحاح والسنن[١]، من خلال التحليل والربط والاستنباط.

واخترت له عنوان: "التدبير النبوي في التعليم وأثره في نماء علم الحديث".

والتدبير هو: فعل الشيء عن فكرٍ ورويَّة[٢]، فتجتمع فيها الرؤية والأهداف والطريق والطريقة ومراعاة الواقع والمصاعب والفُرص واستثمار كافة الإمكانيات، والتي تسمى (الاستراتيجية).

فالبحث يعتني باستخراج هذه (الاستراتيجية) واستخراج تأثيرها على ممارسات المحدثين التي أدت إلى نماء علم الحديث وتطوره وكثرة علومه ومصنفاته والمشتغلين به.

هذا.. وأسأل الله عز وجل لهذا البحث التوفيق والسداد، وأن ينفع به، إنه قريب سميع مجيب.

تمهيد: التدبير النبوي وأهميته.

كان النبي صلى الله عليه وسلم هو معلم الأمة الأول، ولا شك أن التعليم لم يكن همَّه الوحيد، ولم يكن يستولي على كل اهتمامه، فقد كان مُعَلِّمًا مربيًا قائدًا ومشرفًا؛ يتولى إدارة جميع العمليات الإصلاحية في الأمة؛ في جميع المناحي الفكرية والثقافية والسلوكية الفردية والجماعية، لجميع الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وغيرها. بدءً من التخطيط لها فالتنفيذ ثم متابعة العمل على ما تقتضيه فنون الإدارة (المتقدمة).

إذا عُلم ذلك، مع ما سبق من عظم المسئولية في التعليم وحده، فلنعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حقق أعلى النتائج الممكنة للعملية التعليمية، وأن المخرجات المعرفية والمهارية قد وصلت في تجربته العظيمة من الجودة والإتقان إلى الحدود العليا الممكنة للبشر.

يشهد التاريخ أنه جاء إلى أمة أميَّة لا تضع التعليم في قائمة أولوياتها، ولا تملك من وسائل التعلُّم إلا الوسائل البدائية، وأنها أمة كانت تُعشش فيها الضلالات والخرافات، وأنها كانت تلفُّها العادات المقاومة للتقدم والحضارة؛ من الحمية القبلية والتمييز بين العناصر والفئات والقبائل والثارات والغارات الدائمة والحروب الطاحنات. وأن حياتها كانت محكومة بمنظومة ضيقة من القيم الأصيلة التي تستولي عليها استيلاءً كاملا، كالكرم والشجاعة والوفاء والنجدة، فقيمة الفرد فيها بشجاعته وكرمه لا بما حَصّلَ من علم ومعرفة، ومع كل ذلك فقد كان الشعب العربي الذي بُعِثَ فيه النبي عليه الصلاة والسلام يرزحُ تحت تسلط دولتين عظيمتين مجاورتين؛ تستحوذ على مقومات التنمية المحيطة، وتستبد بمقدرات العرب، الذين يعيشون على ما تنقله قوافلهم من فُتات حواضر تلك الدول التي تحتل أطراف ديارهم.

ثم ما لبث بعد أن خاض تجربته التعليمية حتى حرّر العقول من الأوهام والقلوب من الضلال والمبادئ والقيم من كل ما يعارض الرقي الإنساني أو يقف في طريقه؛ بتصحيح التصورات وغرس الإيمان وتتميم مكارم الأخلاق، وفتح أوجه التعاون الإيجابي بين أفراد الأمة؛ لتعمل كلها بروح الفريق الواحد.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١. فهو القدوة العليا في التعليم بناء على عموم هذه الآية، وكونه القدوة العليا يعني أننا لن نجد من يتقدم عليه أبدًا في ذلك؛ وإلا لاستحق أن يشاركه في المرجعية والتأسي، ويعني أيضًا أننا لن نجد تجربةً هي أفضل وأزكى من تجربته وإلا لكانت حجةً على الناس كما كانت السنة النبوية حجة.

وقال عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩، فلا يمكن أن نتصور أن يمتثل هذا الأمر أحدٌ أكثر من رسول الله، ولا أن يكون ربانيًا بحق؛ يصل إلى أقصى درجات الاستفادة من عمليات التعلم واستثمارها: غيره.

هذا السبب هو الذي أوقفني أمام استخراج طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التعليمية.

فلا شك أننا نحتاج إلى استخراج الإستراتيجية النبوية في التعليم والطرق التي نفذ بها تلك الاستراتيجية[٣]، لكي نبني بها مشروعنا العلمي الذي ترتقبه الأمة لنهضتها ورفعتها.

المبحث الأول: التدبير النبوي في التعليم.

وبه مطالب:

المطلب الأول: أنواع العلم التي تولى النبي صلى الله عليه وسلم تبليغها للأمة.

المطلب الثاني: تدبيره للعلوم المعرفية الثقافية التي يحتاجها جميع أفراد الأمة.

المطلب الثالث: تدبيره للعلوم الشرعية التخصصية.

المطلب الرابع: تدبيره للعلوم الشرعية العملية.

المبحث الثاني: أثر التدبير النبوي في التعليم في نماء علم الحديث

المبحث الثالث: أوجه الاستفادة العلمية المعاصرة من التدبير النبوي.

المطلب الأول: أنواع العلم التي تولى النبي صلى الله عليه وسلم تبليغها للأمة.

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بعلوم جمة إلى أمته، ولا شك أن تصنيف العلوم التي نقلها النبي صلى الله عليه وسلم للأمة مهمٌ في استخراج التدابير التي أدار بها عملية التعليم، حيث يتوقع أن يكون لكل نوع من العلم تدبيرٌ يناسبه.

وبعد تحليل المواقف التعليمية التي وردتنا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، والنظر في أنواع العلم التي تولى نقلها للأمة، واحتساب توقع التصنيف المنطقي الممكن، وجدنا أنه يمكن أن تصنف هذه العلوم إلى الأنواع الآتية:

- علوم معرفية ثقافية يحتاجها جميع أفراد الأمة، وهي تتمثل في المعارف التي تولى بها إصلاح العقيدة، والفكر، والأخلاق، ورفع بها مستوى الوعي الثقافي الفردي والجماعي في الأمة، وتلقى هذه العلوم عادة في الخطب والمناسبات، وفي مثل هذه العلوم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغ الشاهد الغائب"(٤).

- علوم شرعية تخصصية، تحتاجها الأمة ويكفي أن تكون معرفتها عند بعض أفرادها دون مجموعها، وهي تتمثل في التخصصات الشرعية: كقراءات القرآن، وفرائض المواريث، وتفاصيل الفقه، وتأويل القرآن، وفي هذه العلوم اختص بعض أصحابه بعلوم لم يطلع عليها آخرون، ودعا لعبد الله بن عباس فيها بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"(٥)، وهو دعاءٌ خاص.

- علوم دينية تطبيقية، تحتاجها الأمة كلها أو عامتها، اتبع فيها النبي صلى الله عليه وسلم طريقة المحاكاة العملية، وفي مثلها قال النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"(٦).

- علوم إضافية، تدعو إليها الحاجة، ولها قدرٌ من الأهمية، كجملة من المعارف الطبية، والمعارف الغيبية عن المستقبل، وأخبار الفتن وأشراط الساعة، وبعض المعارف المفيدة في المواعظ والإصلاح، وهذه كان يبثها في المواقف المختلفة حسب مقتضى الحاجة، وفي مثلها قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار. وأنهى أمتي عن الكي"(٧) الحديث.

- المهارات العلمية والشخصية اللازمة لإعداد الفرد إعدادًا متكاملا لبلوغ الإعداد الكافي للإتقان في العمل الفردي والجماعي، وهذه المهارات كان يجري تنميتها في أثناء التعليم في سائر أصنافه، وفي سائر المواقف التطبيقية للتعليم، حيث كانت الفلسفة الإسلامية توجب العمل بالعلم، وتربط القول بالعمل، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ الصف: ٢. ويدل عليها الحديث النبوي الشريف: "اللهم فقهه في الدين"(٨) وهذا يتضمن مهارات التعامل مع النصوص الشريفة بالتحليل والربط والاستنباط، والقدرة على الترجيح.

هذه هي أبرز أصناف العلوم التي علّمها النبي صلى الله عليه وسلم للأمة، والتي اشتمل عليها الكتاب والسنة.

وتقتضي الحالة المعروفة عن المفردات العلمية بعامة أن تتمايز بعض مفردات هذه العلوم حتى يكون من السهل تصنيفها، وقد يكون في بعض المفردات تداخلا في صفاتها بحيث يتنازعها صنفان أو أكثر.

لذلك فإن الدقة في استخراج التدابير النبوية في التعليم مهمٌ للغاية، ومما يسهم في تحقيق الدقة ما سبق لنا في هذا المطلب من تصنيف أنواع المعارف؛ بناءً على تحليل ما اشتمل عليه القرآن والسنة من علوم، وتحليل المواقف التعليمية الساكنة في روايات الأحاديث الصحيحة. ولا بد لتحقيق الدقة في استخراج التدبير النبوي في التعليم من الوقوف على التدبير النبوي لأهم أصناف العلم التي ظهرت في هذا المطلب، وهذا ما ستفي به المطالب اللاحقة إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: تدبيره للعلوم المعرفية الثقافية التي يحتاجها جميع أفراد الأمة.

سبق أن هذا النوع من العلم يتمثل في المعارف التي تولى بها إصلاح العقيدة، والفكر، والأخلاق، ورفع بها مستوى الوعي الثقافي الفردي والجماعي في الأمة، وهي في عامتها معارف تنسجم جدًا مع فطرة البشر، وكثيرٌ منها من قبيل الحكمة التي تقبلها النفوس الإنسانية بلا برهنة ولا استدلال، ويحتاجها الجميع بلا استثناء.

ومن أمثلتها قوله عليه الصلاة والسلام: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" الحديث(٩)، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"(١٠)، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: "من غش فليس منا"(١١)، ومثل قوله: "لا ضرر ولا ضرار"(١٢)، وغيرها.

ففي سائر هذه الأحاديث نلحظ قوة البيان واختصار العبارة والقابلية الشديدة للحفظ والاستثمار بالتدبر والتطبيق، وكأنها رسائل مختصرة ينبغي على جميع من بلغته أن يسعى في نشرها في جنبات الأمة، لترتفع الثقافة وتصلح العقائد والأخلاق.

وقد وجدنا في التراث المنقول عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقدم (المعرفة) في أتم تلخيص وأحسن عرض (ولا يطيل الكلام) لكي يسهل ضبطُها ونقلها والتفقه فيها، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: "كان يُحَدِّثُ حديثاً لو عَدَّهُ العَادُّ لأَحصَاهُ"(١٣). تأتي هذا الممارسة النبوية كجزء من التدبير النبوي في التعليم، فقد كان يتقصد تلخيص المعلومة لأنه يعمل وفق خطةٍ محكمة.

ويأتي وصف عائشة رضي الله عنها لطريقة تحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ردًا على ما كان فعله بعض المعلمين بعده من سرد الحديث والإكثار منه في المجلس الواحد، ففي رواية من روايات هذا الحديث تقول رضي الله عنها لابن أختها عروة بن الزبير راوي هذا الحديث: "ألا يُعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يُسمعني ذلك وكنت أُسبح فقام قبل ان أقضي سُبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم"(١٤).

ويأتي في بعض الروايات بيان العلة التي لأجلها أقلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام، فتقول: "إنما كان حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فصلا تفهمه القلوب"(١٥).

فكان هذا مقصده عليه السلام من تلخيص المعرفة: أن يسهل حفظها وضبطها، وأن يستمر استثمارها والتفقه فيها، وأن تبقى في الأمة جيلا بعد جيل.

وفي بعض الروايات أنه بلغ من تلخيصه وحسنه إلى درجة أن يحفظه كل من سمعه: "كان كلامة فصلا يُبينه؛ يحفظه كل من سمعه"[١٦].

فهذا الأسلوب في تقديم المعلومة هو الأسلوب الذي اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم في دروسه العلمية؛ أن يقدم للسامع مادة علمية ملخصه قابلة للضبط، وقابلة للتمدد والاستطالة بالتفهم والتفكر عند السامع، مهما كان حاله، وقابلة للبقاء في أجيال الأمة المتلاحقة.

فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان بعد أن يشعر عليه الصلاة والسلام أنهم قد وعوا ما أراد؛ يخاطبهم بقوله: **"ليبلغ الشاهد الغائب"**[١٧].

لذا فإن درسه عليه الصلاة والسلام الذي يهم الأمة لم يكن ينتهي في دائرة إلقائه، ولكن كانت تلك الدائرة هي وسيلة التفجير المعرفي في الأمة، لينتقل العلم بعد إلقائه فيها إلى جهات عديدة متباينة لا يمكن حصرها ولا التضييق عليها، بحيث تأمن الحقيقة بعدها من: الضياع، أو من تحولها إلى خطأ مستمر لا يوجد ما يدل على صوابه.

وكان ذلك من خلال اتباعه تدبيرًا عظيمًا يتمثل ملخصًا في أمره عليه الصلاة والسلام: أن "يبلغ الشاهد الغائب".

إذن كان هذا النوع من المعرفة يلقى هذا النوع من التدبير.

وبين يدينا قصةُ حديثٍ آخر، أراد النبي صلى الله عليه وسلم فيها لجميع أفراد الأمة أن تبلغهم معرفةٌ مهمة يحتاجها الجميع، فكان من تدبيره فيها ما يؤكد أن سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النوع من المعرفة: أنه كان يختصر العبارة ويصوغها صياغة قابلة للفهم والاستثمار والانتقال في الأمة، ثم يجند من سمعها ليحدث بها من لم يسمعها، فيتحوّل من سامع إلى مبلغ، رجاء أن تبلغ الجميع.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يبلغ من حج معه من العرب الذين دخلوا في الدين أنه يجب عليهم حفظ دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فألقى فيهم خطبة جاء فيها أنه قال لهم كما يقول الراوي: "(أي شهر هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (أليس ذا الحجة؟) قلنا بلى قال (فأي بلد هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (أليس البلدة؟) قلنا بلى قال (فأي يوم هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (أليس يوم النحر؟) قلنا بلى يا رسول الله قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم: حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم؛ فلا ترجعن بعدي كفارا (أو ضلالا) يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه) ثم قال (ألا هل بلغت؟)"(١٨).

فتأمل هذه الأسئلة التي يراد منها جذب الانتباه وزرع المعرفة في قلوب السامعين؛ ثلاثة أسئلة ترتبط بها ثلاث معارف، ويُبنى عليها المعنى بناء محكمًا قوي الارتباط: أي شهر هذا؟ أي يوم هذا؟ أي بلد هذا؟ يقابلها: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، ويؤكد حرمتها تشبيه حرمتها بحرمة البلد واليوم والشهر التي تقرر عندهم أصلا أنها حرمة عظيمة.

وتأتي تلك السكتات الرائعة (فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه) لتحضُرَ كلُّ حواس السامعين، فيضبطوا عنه ويفقهوا قوله عليه الصلاة والسلام.

هذا كان جزءً مهمًا من التدبير النبوي، ثمّ يأتي جزءٌ مهمٌ آخر في قوله: "ألا ليبلغ الشاهد الغائب"، ثمّ يتطور هذا الجزء حتى يكون الغائب الذي تبلغه هذه المعلومة مسئولاً عنها وخادمًا لها بدرجة تكون أحيانًا أكثر من السامع الأول (فلعل بعض من بلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه).

فإذا ما حَلّلنا هذا التدبير النبوي، وجدناه يعتمد مبدأ المشاركة بين المعلم والمتعلم في مراحل يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

- حسن أداء من المعلم للمعرفة ملخصة قابلة للحفظ والفهم.
- يرافقه حسن استماع وتلقي من الطالب، يكون للمعلم فيه دور بافتعال ما يجذب حواس السامعين.
- ثم حفظ، وتفكر ووعي، من الطالب، يكون للمعلم فيه دور في التحفيز.
- ثم حسن أداء من الطالب؛ يُبلِّغ (الغائب). وهذا التبليغ كفيلٌ بتحقيق إنتماء الطالب لعلمه وحميته له، وبتثبيت المعرفة واستثمارها لديه، وبفتح أوجه فقهها من خلال إثارة التفكر فيها والنقاشات حولها.

ولكي تُفعّل هذه الطريقة على أعلى مستوى، فإنه ينبغي على السامع أن يكون شريكًا فيها بأن يعي ويحفظ، ثم يحافظ على ما سمع؛ ليقوم بتبليغه ملخصًا من غير تغيير، ومقرونًا بتوضيحه قدر استطاعته؛ وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذا فقال: "نُضَّرَ الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[(١٩)].

وهذا مبنيٌ أساسًا على جودة المادة العلمية المنقولة، والتي قد يقف المنقولة إليه منها على ما لم يدركه السامع الأول من فهمها، فهي رسالة العلم البينة.

وفي جعل رسائل العلم على هذا النحو تحفيزٌ لعموم الناس بالتفقه في النص النبوي واستخراج فوائده وأحكامه، قال عليه الصلاة والسلام: "لِيُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ، فإنَّ الشَّاهد عسى أَنْ يُبَلِّغَ من هو أوعَى له منهُ"[(٢٠)]، وفي طلب التبليغ إشارةٌ إلى عِظم المعاني الموجودة في النص، والتي ينبغي أن تُستخرج، وأن تتناولها العقول بالبحث

والنظر، "أَلا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائبَ، فَلَعَلَّ بعضَ مَنْ يَبلغُهُ أَن يكونَ أَوعَى لَهُ مِنْ بعضِ مَنْ سَمِعَهُ"[٢١].

وهذا التصوُّرُ الواضح تجاه عملية التعلم، بأنه لا يكون التعليم إيجابيا حتى يُستفاد من المتلقي؛ إما بأن يعي العلم وعيًا كاملا فيصبح من العلماء به الذين يُرجع إليهم فيه، وإلا فلا أقل من أن يَحفظ العلم وينقله لغيره، وبغيرهما فإن عملية التعلم ستكون سلبية لا محالة= هو الحق، وهو ما كان يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن مثَلَ ما بعثني الله به عز و جل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب[٢٢] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان[٢٣] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به **فعلم وعلم**، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[٢٤].

وبين الوعي الكامل والفهم التام للعلم وبين حفظه دون فهم: مراتبُ كثيرةٌ في درجات الفهم يتفاوت فيها المتعلمون، (فلعَلَّ بعضَ منْ يبلغه أن يكونَ أوعى له من بعض من سَمِعَهُ). والوعي به نسبيٌّ يتفاوت، ولكن درجات الوعي المتفاوتة هذه كفيلة بتحرير المراد على صورته النهائية، إذا ما تداولتها تلك العقول على اختلافها وتدرجها في الفهم.

إذن نحن أمام استراتيجية نبوية متكاملة لهذا الصنف من العلم.

ولكي يضمن النبي صلى الله عليه وسلم نجاح هذه الاستراتيجية التي تعتمد على التلاميذ في تنفيذها؛ فإنه قد قدم للتلاميذ من التحفيز ما هو فوق القدر الأعلى الكافي على القيام بالمهمة. فقال عليه الصلاة والسلام: (بلغوا عني) الحديث، بصيغة

الأمر الصريح الذي يوجب التبليغ، وقال: (ليبلغ الشاهد الغائب)، فبين المسئول عن التبليغ وبين حق الغائب على الشاهد، وفضل الشاهد على الغائب. وفي هذا تحفيزٌ لشهود مجالس العلم، ولمن شهدها على إبلاغه من غاب عنها. وقال عليه الصلاة والسلام: "نضر الله امرءً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها لمن لم يسمعها"[٢٥]الحديث، وفيه تحفيزٌ كبيرٌ للتلاميذ. من خلال ارتقابهم تحقق (النضارة) التي وعدهم بها[٢٦]، والتي تستغرق نضارة الوجوه في الدنيا وفي جنة الآخرة.

وقال: "لأن يهدي الله بكَ رجلا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعَم"[٢٧]. فحَفزَ على العمل ببيان عظيم أجر المُبَلِّغ الذي يهدف إلى هداية الناس؛ فلا يقدم لهم إلا ما يناسب نفعهم، وفي هذا مراعاةٌ لحاجة الناس؛ فإن أنفع ما يكون للمرء من العلم ما اشتدت إليه حاجته، وما اشتدت إليه حاجته فإنه يكون أقرب ما يكون إلى حفظه ووعيه.

وبهذا ضمن النبي صلى الله عليه وسلم اهتمام تلاميذه بالأهم ثم الأهم من العلم الذي يبثه فيهم، وبأنه سينال اهتمامهم أيضًا في تبليغه ونشره.

وقال: "من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله"[٢٨]، فكثَّر به فعل الخير والدلالة عليه، وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا"[٢٩]. فإن الخير لا يدوم إلا بمحاربة الشر، وروي عنه أنه قال: "إن الله وملائكته وأهلَ السموات والأرضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت: ليصلون على معلم الناس الخير"[٣٠]

وبهذا ضمن عليه الصلاة والسلام أن يُسهمَ التعليم في تعاون المجتمع على الخير حتى يوجدوه ويقيموه وتعاونهم على الشر حتى يضعفوه ويستأصلوه.

فكان هذا القدرُ الهائلُ من التحفيز كافيًا لتحويل أولائك التلاميذ إلى معلمين على طبقات متفاوتة الأهلية، أقلهم من نقل المعرفة كما هي إلى غيره، وأكثرهم من نقلها بفقهها وفوائدها.

وهكذا تعلَّمَ أصحاب رسول الله منه، وعلموا قومهم ممن لا يمكنه الحضور إلى مجالسه، أو المواضبة عليها، فتناوبوا في التلقي والأداء[٣١].

فكان المجتمع (الواعي) يتعاهد المبلغين الذين يُكثرون من لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لديهم من جديد عنه، مما يزيد أولئك المبلغين تحفيزًا للوفاء بمهامهم، وكان أفراد المجتمع يهتمون بشأن الجديد من العلم، فيقسمون وقتهم بين التعلم والتكسب للمعاش، وما كانوا يكتفون بذلك، ولكنهم كانوا يتناوبون مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان لي جار من الأنصار، فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فينزل يومًا وأنزل يوما، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك"[٣٢].

فبهذه الاستراتيجية يكون شأن التعلم شأن الأمة بأجمعها.

وبهذه الاستراتيجية جَنّد النبي صلى الله عليه وسلم وسائل نقل (عاقلة)، تنقل أمره ونهيه وإرشاده في جنبات الأمة بأجمعها.

وبهذه الاستراتيجية ضمن النبي صلى الله عليه وسلم استثمارًا كاملا لعملية التعلم، من ضبط المعرفة، وتنمية المهارات، والعمل بالعلم، وانتشاره في الأمة، وحفظه من الضياع، وبقاء الصواب، وبقاء أدلته التي تدل على رجحانه.

وبهذه الاستراتيجية نمت مهارات الاتصال لدى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، من خلال الممارسة العملية لمهمات اتصال مستمرة، فيها التدريب المستمر على: تلخيص الرسالة، وحسن العرض، وتنمية مهارات الإلقاء، وحسن التلقى، وتنمية مهارات الاستماع، ومهارات الحوار والإقناع، ومهارات التحليل والربط والاستنباط، وغيرها.

فكفلت هذه الاستراتيجية تنمية مهارات الطالب ومهارات المعلم (معًا) في التلاميذ، وجعلت في التلاميذ تدرجات علمية يجول العلم خلالها، ويمنحها قدرًا جيدًا من المذاكرة والحوار والترجيح والمناظرة، وهذا ما لم نجده في أي طريقة تعليمية أخرى؛ حيث تهتم أجودها بتنمية مهارات الطالب فقط في التلاميذ.

ولو ذهبنا ننظرُ في الجهات المنتفعة بهذه الطريقة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فسيتبين أثر هذه الاستراتيجية القوية التي تبعها النبي صلى الله عليه وسلم في تعليمه في كافة المحاور المهمة في العملية التعليمية.

فأولاً: المعرفة، ضمنت المعرفة بهذه الطريقة الانتشار الواسع في فئات المجتمع وطبقاته، وبلا حدود، مما يكفل وصولها إلى أعداد غير محدودة ولا متوقعة، وفي هذا ضمانٌ لحفظ هذه المعرفة من الضياع، وفيه أيضًا حفظها من الاحتكار الذي قد يفضي في بعض الظروف إلى الكتمان أو التحريف، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعي أثر هذه الاستراتيجية في حفظ دينه ونشره وبقائه صافيًا نقيًا إلى أن يأذن الله برفعه في آخر الزمن.

ثانيًا: المجتمع، فقد وجد المجتمع في هذه الاستراتيجية أعلى درجات الخدمة التي يمكن أن توفرها له طرق التعليم الأخرى؛ ولو كانت مجتمعة، فالمقصود بالتعلم أساسًا في هذه الاستراتيجية هو المجتمع، وليس بين المجتمع وأي معرفة جديدة إلا أن يلقيها

المصدر الأساس (المعلم) لجماعة من الطلاب حتى يتحولوا إلى وسائل فاعلة تنقلها بكفاءة للمجتمع، مباشرة وبلا كلل، وينشأ لها نقلةٌ آخرون من الدرجة الثانية ممن سمع من الطلاب الأُوَل؛ فتتفجر فيه المعارف من كل صوب وحدب، مما يرفع من مستوى وعيه وثقافته وتلاحمه وتماسكه.

ثالثًا: المعلم، الذي أصبح يخطط لما يريد أن يلقيه من علم على طلابه، ويحرر عباراته، ويلخص مقصوده، ويسعى لإشراك هؤلاء الطلاب معه في عمل جماعي مثمر لخدمة المعرفة والمجتمع. فتتطور معه مهارات التخطيط والبحث والإلقاء والعرض والحوار والإقناع والرعاية والإدارة المعرفية.

رابعًا: الطالب، الذي علت همته فأصبح شريكا في التعلم والتعليم بعد أن كان في كثير من طرق التدريس مجرد متلق محايد للمعرفة لا ينتمي لها ولا يشعر بها ولا يتحمل مسئوليتها ولا يأبه لأمرها، ونمت فيه المعارف ومهارات التعلم المتمثلة في مهارات الاتصال والمهارات الإدراكية والمهارات النفسية الحركية. ولم يكتف بنمائها فقط ولكن نمت بجوارها مهارات (المعلم) من وقت مبكر؛ لما تولى نقل العلم (للغائب)، فأصبح له معلمًا، ومهارات المعلم أعلى في المستوى من مهارات الطالب.

وبسبب كل هذا النماء المبني على هذه الطريقة الرائدة في التعليم تمكّن جيل الصحابة من إصلاح نفوسهم، ومجتمعهم، وتوحيده، ثم نقلوا هذا الصلاح لغيرهم، فصلحت الأمم بدخولها الإسلام، وصلح العالم بهيمنة نظام الإسلام العادل الرحيم، مما أثّر إيجابيًا في أنتاج التقدم والحضارة التي يعيش في كنفها عالم اليوم.

وفي ختام هذا المطلب يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن:

- يحفظ هذا العلم من الضياع.
- وأن يعلم به أمته التي كانت في عهده.

- وأن يرفع من مستوى ثقافتها وتفكيرها من خلال هذا الحراك العلمي الثقافي.
- وأن يرفع المستوى المهاري للأمة من خلال تنشيط عملية التعليم هذه.
- وأن تتوثق علاقات أفراد المجتمع من خلال العملية التعلمية والمشاركة فيها.
- وأن يضمن لمن غاب عنه في المكان من أصحابه وأهل جيله أو الزمان من الطبقات التي ستأتي من بعده: وجود من يبلغه هذا العلم.

وأنه لتحقيق مراده هذا قد اتبع أسلوب: **الوكالة التعليمية المفتوحة**(٣٣)، في طريقة "ليبلغ الشاهد الغائب"، وأنه قد وفّى بكل ما تتطلبه هذه الطريقة، من: تلخيص المعلومة، وصياغتها بأسلوب يضمن ضبطها ويفتح باب التفقه فيها، وحسن إلقائها وعرضها، والتأكد من ضبط السامعين لها، وتحفيزهم على نقلها لغيرهم، وتحفيز غيرهم على التلقي عنهم، وتقرير أن المبلّغ بها قد يكون أوعى لها من سامعها الأول الذي بلغه أياها، وفي هذا البيان تحفيز كبير للسامعين والمبلَّغين على حد سواء.

وأنه قد حذر الناقلين عنه من الكذب عليه وطالبهم بالاحتياط، وفتح للعارفين بحديثه باب النقد فيما يرويه عنه الرواة، وذلك احتياطٌ عن ما يمكن أن تتسبب به هذه الطريقة من دخول بعض الروايات المكذوبة أو المغلوطة فيما ينقله عنه الناقلون، وأراد للتدافع المعرفي أن يكون هو حافظ هذا العلم، حيث تدفع الرواياتُ الصواب الرواياتِ الخطأ.

هذه كانت بلا شك طريقته التي أجرى تدبيره التعليم عليها، ولو شاء لأشاع في الأمة أن لا يأخذن أحدٌ العلم إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لأشاع أن لا يؤخذن العلم إلا عن رسول الله وكبار أصحابه: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفلان وفلان، أمَا وقد فتح أخذ العلم عن كلِّ أحدٍ سمع منه ولو مقالةً واحدة، بل رغّب فيه، وحفّز الآخذ والمأخوذ عنه على التلقي والأداء، فإنه قد اختار هذه الطريقة لتدبير هذا النوع من العلم.

هنا نكون قد وصلنا إلى نتيجة هذا المطلب، وسنرى في المطلب الآتي تدبيره عليه الصلاة والسلام لنوع آخر من العلم.

المطلب الثالث: تدبيره في تعليم العلوم الشرعية التخصصية.

وصلنا في المطلب السابق إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اتبع في تدبيره تعليمَ العلوم المعرفية الثقافية التي يحتاجها جميع أفراد الأمة طريقة: **الوكالة التعليمية المفتوحة**. فهل تصلح تلك الطريقة لتدبير العلوم التخصصية أيضًا؟

وهل وكَّلَ النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا في زمانه ليكون معلمًا متخصصًا يرجع إليه الناس؟

وما هو دور النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم التخصصي؟

وكيف كانت الطريقة التي اتبعها في تدبيره لهذا النوع من المعلومات؟

الجواب عن هذه التساؤلات يكون من خلال تحليل المواقف التعليمية الواردة في الأحاديث النبوية الصحيحة، ومن خلال النظر في الحقائق التي أحاطت بالتعليم النبوي، والفوارق الرئيسة بين المعرفة الثقافية الإجمالية والمعرفة التخصصية التفصيلية.

فكثرة مهام النبي صلى الله عليه وسلم، والمتمثلة في تدبير كل ما يحتاجه المجتمع المسلم في شتى المجالات: تستدعي أن يكون قد استعان بوكلاء في التعليم من خاصة أصحابه ممن تعلموا قديمًا، ليقوموا بجزء كبير من المهمة التعليمية لهذا النوع؛ ويتولى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الأشراف على تنفيذها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأنفال: ٦٢ الآية. وتأييدهم له عام يشمل التعليم أيضًا.

كما أن استعانة النبي صلى الله عليه وسلم بالشاهد ليعلم الغائب في النوع السابق من أنواع العلوم التي اشتملت عليها الشريعة، والتي ينبغي أن تكون علومًا ثقافية مجملة يحتاجها الجميع، يدل أيضًا على أنه ينبغي أن يستعين بوكلاء خاصين لتعليم العلوم الشرعية التخصصية التفصيلية التي لا يمكن للجميع أن يَعْلَمَها.

على ذلك فإننا أمام فرضية؛ يمكن أن نبني البحث في هذا المطلب عليها، وهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعان بوكلاء خاصين من أصحابه تولوا بعد أن تعلموا العلوم الشرعية التخصصية على يديه: تعليم بقية أصحابه تحت إشرافه.

واختبار هذه الفرضية يكون بعرضها على المواقف التعليمية التي اشتملت عليها الأحاديث الصحيحة، ثم الخروج بالنتيجة التي تدل عليها تلك المواقف بعد تحليلها، إما أثبتت صحة هذه الفرضية أو أثبتت خطأها.

وأول ما نبدأ به من تلك المواقف حديث أنس بن مالك قال: "جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام؛ يقرؤن القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا، قال وأتى رجلٌ حرامًا خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه؛ فقال حرام: فُزت وربُ الكعبة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا! وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا"[٣٤].

وتحليل هذا الحديث وقصته يدل على ما يلي:

- أن الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أن المسئول عن تعليم الناس الكتاب والسنة هو النبي صلى الله عليه وسلم.
- ويرون أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعدّ من طلابه من يصلح لأن يكون معلمًا للمبتدئين.
- ويرون أن تعليمهم خاضعٌ لإشراف النبي صلى الله عليه وسلم.
- ويدل تحليل الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُمَكِّنُ أصحابَه من تعليم بعضهم بعضًا بشكل واسع، وأنه يندب من أتقن شيئًا إلى تعليمه لمن لم يتقنه. وذلك مأخوذٌ من هذا العدد الكبير (سبعين) الذي أرسله مع هؤلاء الناس وحدهم، ولم يكن في هؤلاء السبعين كبار أصحابه. فلم يكن تدبيره وفق هذا الحديث يدل على أنه احتكر التعليم في طائفة خاصة، ولكنه مفتوح لكل من أتقن شيئًا من العلم. فهؤلاء القراء كانوا يتذاكرون ويتدارسون. فعلّم بعضهم بعضًا، ثم أرسلهم جميعًا لتعليم آخرين.
- العلم الذي كان عند هؤلاء القراء علمٌ تخصصي، من جهة شموله، ومن جهة نوعه، فتعليمٌ شموليٌ ثقافي، أو تعليمٌ تفصيليٌ تخصصي، كلاهما علمٌ تخصصي.

كانت نتيجة تحليل هذا الخبر الصحيح الذي حوى مواقف تعليمية، ووضحّ الحالة الثقافية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم: **هي تأكيد الفرضية**، فالذي وصلنا إليه مع تحليل هذا الخبر يؤيد الفرضية في أصلها، لكنه يزيد في تخصيصها من جانبٍ، يتبين من الإجابة على السؤال الآتي:

سلّمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ طريقة التوكيل الخاص في التعليم التخصصي، لكن كيف كان هذا التوكيل الخاص:

هل أعدّ النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه علماء بالشريعة ثمّ حكر التعليم عليهم؟ حفاظًا على العلم من الخطأ.

أم أنه ندب كلَّ من تعلم شيئًا وأتقنه إلى أن يعلمه من لا يعلمه؟ حفاظًا على العلم من الكتمان.

الخبر السابق يميل جدًا إلى ترجيح الثاني، لأن هؤلاء السبعين كما ذكرنا هم أقرب إلى أن يكونوا درجات متفاوتة في العلم؛ من المتعلمين الذين تخصصوا في علم الكتاب والسنة، يرجع بعضهم إلى بعض ويستفيد بعضهم من بعض. أقرب أن يكونوا كذلك من أن يكون كلُّ واحدٍ منهم عالمٌ بالكتاب والسنة، مكتمل المعرفة بها أو بأغلبها.

فالحديث يدل على أن التوكيل الخاص في العلوم التخصصية هو: لكل من أتقن شيئاً في العلم بلا احتكار.

ويمكن أن يُستدل على أن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم هي تفويض كل من أتقن شيئًا من العلم بأن يعلمه من يحتاجه: بالأحاديث الآمرة بالتبليغ مطلقًا، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[(٣٥)].

حيث يشمل كلّ من أتقن شيئًا من العلم ولو آيةً واحدة، قراءتَها وفهمَهما والعملَ بها. كما أن في قوله: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) ما يدعم هذا الفهم من جهة كون هذا الخطاب يفتح الأحاديث العلمية في المجتمع ولا يحتكرها، الأمر الذي تقتضيه هذه الطريقة في التوكيل العلمي، وأيضًا يدل قوله (ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار) على أن النبي صلى الله عليه وسلم خشي من الكذب عليه بسبب هذه الوكالة العلمية المفتوحة لكل من أتقن شيئًا من العلم، وإلا

لاكتفى بقوله: ولا تأخذوا العلم إلا من العلماء إبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفلان وفلان، بعد توجيه النهي عن الكذب عليه إلى هؤلاء الخاصة.

وقد جاء في أخبار السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثَ معاذاً نحوَ اليمَنِ قال له: "إنك تَقدَمُ على قوم أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز و جل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم"(٣٦).

فالحديث هنا عن مُعَلِّمٍ واحد، هو معاذ؛ على سعة رقعة اليمن، وما ذاك إلا لأن معاذًا عالمٌ مكتمل العلم بالدين الإسلامي حينها، ليس مثل أولئك القراء الذين يُعدون طلبة علم على مستويات علمية متفاوتة.

والدليل من الحديث نفسه أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشده ووصاه بترتيب الأولويات، ولم يُذَكِّرُهُ بالتفاصيل العلمية لأنه يعرفها، فهو يعرف التوحيد وما يضاده أو ينقصه، ويعرف الصلوات وشروطها وأركانها وأحكامها، ويعرف الزكاة وأحكامها وما يتعلق بها. وكان قد بعث معه أيضًا إلى اليمن أبا موسى الأشعري معلمًا ومرشدًا، ليعضد أحدهما الآخر، وليفوا بحاجة تلك البلاد الواسعة(٣٧).

وقد سبق مصعب بن عمير إلى المدينة يُعَلِّمُ أهلها التوحيد والصلاة ويقرؤهم القرآن، قال البَرَاءُ بن عازب رضى الله عنه: "أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، قال فجعلا يقرئان الناس القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، قال ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء قط فرحهم به؛ حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء، قال فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل"(٣٨).

والبراء بن عازب كان في نحو الحادية عشرة من عمره وقتها، وهذا يعني أن تعليمًا مُنَظَّمًا قد سبق مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، تولاه مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ومن لحق بهما من الصحابة.

وهذا يؤكد أن سياسة النبي صلى الله عليه وسلم هي فتح آفاق التعلم والتعليم في المجتمع، بحيث يُعَلِّمُ أصحابَه، ثمّ يتعلم بعضهم من بعض.

ولا شك أن السؤالات والاستشكالات في تفاصيل المعارف الشرعية كان مرجعها النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ولكن تشهد الروايات أن الصحابة رضوان الله عليهم كان علماؤهم يجيبون على سؤالات واستشكالات المجتمع فيما يَعْلمون، وفي وجود النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُنْكَرُ عليهم ذلك.

فعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا: "إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم قل، قال إن ابني كان عسيفًا على هذا فزنى بامرأته، وإني أُخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها). قال فغدا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فرُجمت"[٣٩].

فهذه الإشكالية التفصيلية في الحدود تكلم فيها هنا بعضُ المسلمين وأخطأ، واستُفتِيَ فيها أهل العلم من الصحابة فقالوا بما علموا، والنبي صلى الله عليه وسلم

موجودٌ بين القوم، ولم يستنكفوا عن ذلك لوجوده، وترافع الخصمان أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فقضى بما أفتى به أهل العلم، ولم يثرب عليهم، ولم يثرب على من قال في المسألة قبلهم فأخطأ! لأن المخطئ ظن أنه يتكلم بعلم ولكنه التبس عليه التفريق بين البكر والثيب فقضى بالرجم للبكر أيضًا. وهذا ممكن الحصول في مسائل العلم بعامة.

الشاهد في هذه الرواية الصحيحة هي أن الأجوبة على الاستشكالات كانت تروج في أوساط الصحابة، ولم يكونوا يمتنعون عن سؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم من أهل العلم من أصحابه، ولم يكن المسئولون منهم يمتنعون عن الجواب بما يعلمون، فلم يكن العلم يُحتكر، ولا كانت الأسئلة تقتصر على طائفة من الناس معلومة دون البقية، لكن كان السائل يتحرى أهل العلم ممن حوله.

والمزية الكبيرة لهذه الطريقة أنها تخلق أجواءً علمية ثقافية في المجتمع، وتحول دون اندثار العلم، وتترك تصفية صواب العلم عن خطئه للمدافعة العلمية.

وبذلك تكون نتيجة المطلب قد تبينت، ويكون التدبير النبوي في بث العلم التخصصي عن طريق اتباع طريقة التوكيل الخاص في نشر العلم، وتبين أن التوكيل يشمل كل من أتقن من العلم شيئًا.

وتبين أن الفارق بين التدبير النبوي في بث العلم التخصصي التفصيلي والعلم الثقافي الإجمالي، هو في أن العلم الثقافي الإجمالي كان يلقى للعموم بصورة يستوعبها العموم، ويطلب من العموم أن يبلغوه، على طريقة "ليبلغ الشاهد الغائب". أما العلم التخصصي التفصيلي فكان يُلقى للخصوص، ويُطلب ممن أتقنه أن يبلغه، على طريقة (ليعلم العالم الجاهل).

وهذا النوع من العلم التخصصي يشمل معارف نظرية وإجراءات عملية، وقد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم في الإجراءات العملية طريقة خاصةً سيأتي الحديث عنها في المطلب التالي، وبالله التوفيق.

المطلب الرابع: التدبير النبوي في التعليم العملي.

سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبع طريقة التوكيل التعليمي في المطلبين السابقين، وأنه في العلم التخصصي التفصيلي قد اتبع طريقة التوكيل التعليمي الخاص، على طريقة: "ليعلم العالم الجاهل".

والتعليم العملي هو نوع من التعليم التخصصي التفصيلي، كمثل تعليم الناس الوضوء، والصلاة، والحج ونحوها.

ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن له بمقتضى بشريته أن يتولى تعليم كل مسلم كيف يتوضأ! ولا كيف يصلي! فلا شك أن كثيرًا من المسلمين في زمنه قد استفادوا من طريقته في التوكيل التعليمي، فعلّم الأب أبناءه وأهلَ بيته، وعلم من يتمكن من حضور مجالسه من لا يتمكن من حضورها من صحبه وجيرانه وأقاربه.

وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم طريقةً خاصةً في هذه المعارف العملية، وهي أنه كان يباشر تعليمها بشكل عملي، ثمّ يأمر من تعلمها أن يُعلمها من وراءه.

فعن مالك بن الحويرث قال: "أتينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة؛ فظن أنا قد اشتقنا إلى أهلينا، سألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم رحيمًا رفيقًا، فقال: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكبركم"(٤٠).

والعلم هنا قد تلقاه مالك بن الحويرث ورفاقه رضي الله عنهم في عشرين ليلة، كان منه الصلاة وقد تلقوها عنه عمليًا على حدّ قوله: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، وقد شملت صلاته الأركان والواجبات والمستحبات، ولا دليل على أنهم قد أدركوا بدقةٍ الفيصلَ بين هذه الأعمال المتنوعة في الصلاة ماكان منها واجبًا وما كان مستحبًا[٤١]؛ وهو قدرٌ من العلم زائدٌ على مجرد ملاحظة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، فالوكيل التعليمي هنا مسئولٌ عن نقل صلاة صحيحة مكتملة، يُعَلِّمُها الناسَ، ولو كان يجهل الفارق بين واجباتها ومستحباتها، ولو لم يكن قادرًا على الإجابة على استشكالات المخلين في تطبيق ما أمرهم به من أحكام الصلاة.

وهذا التخفيف في شرط المعلم: تيسيرٌ من النبي صلى الله عليه وسلم، ومراعاة لحاجة الناس ومصلحتهم، فالهدف من تعليم الناس الصلاة هنا هو أن يُصلوا صلاة صحيحة، لا أن يكونوا فقهاء في الصلاة، وهو يتحقق بالنقل التصويري العملي لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، أما تعليم فقهاء الصحابة أحكام الصلاة، فكان علمًا تفصيليًا، يَبلغهم بالتنوع في طريقة الصلاة من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وبالخطاب الدال على التفريق بين أعمال الصلاة، وقد بلغه النبي صلى الله عليه وسلم فقهاء الصحابة بلاغًا خاصًا.

ومثل الصلاة كانت الزكاة.

فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم المزكين من أصحابه، وعلمهم أنصبة الزكاة وأحكامها، وطلب منهم أن يأخذوا من الناس ما وجب عليهم، فكان يأتي المزكي إلى صاحب الماشية عنده خمسين من الغنم فيبلغه بفرض الله عليه في الزكاة، وأنها شاة، ويكتفي بأخذ زكاته، سواءٌ حفظ صاحب الزكاة نصابه أو نسيه؛ لأنه إذا زكى ماله تحقق المقصود، ولا يجب أن ينشغل أصحاب الأموال بتعلم تفاصيل الزكاة

وأنصبتها، لأن هذا العلم التفصيلي يخص المتفقهة في الزكاة، ولا شأن للناس به، وسيحظى المهتمون به بمجالس علمية خاصة، أو أنهم سيسألون عنه أسئلة خاصة، أو يستخرجونه من أدلة القرآن والسنة على طريقة فقهية تخصصية.

فعن جرير بن عبدالله قال: "جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن ناسًا من المصدقين يأتوننا فيظلموننا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرضوا مصدقيكم، قال جرير: ما صدر عنى مصدقٌ منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا وهو عني راض"(٤٢).

ففي قوله: (أرضوا مصدقيكم) ما يدل على أنه ترك شرح الفارق بين العدل والظلم لهؤلاء الناس، وأنه اكتفى بتفويضه المصدقين وثقته بهم.

ولكن هل كان هؤلاء المصدقين فقهاء في الزكاة؟ أم أنهم كانوا عالمين بالمسائل الخاصة التي وجههم لها النبي صلى الله عليه وسلم، فمن أُرسل لأخذ زكاة الماشية علمه أنصبتها وما يجب فيها، واكتفى بهذه المعرفة التي يتحقق بها المقصود.

وقد نقل أهل السير أنه "لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال المحرم سنة تسع من مهاجره، بعث المصدقين يصدقون العرب فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم يصدقهم وبعث بريدة بن الحصيب إلى أسلم وغفار يصدقهم، ويقال كعب بن مالك، وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة، وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة، وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة، وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب، وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، وبعث ابن اللتبية الأزدي إلى بني ذبيان، وبعث رجلا من سعد هذيم على صدقاتهم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقيه أن يأخذوا العفو منهم ويتوقوا كرائم أموالهم"(٤٣).

وهؤلاء المسمين في هذا السياق ليسوا جميعًا من العلماء بالزكاة، ولكنهم علموا من أحكام الزكاة ما يتمكنون به من أخذ الزكاة من الناس في أموالهم. وبهذا يتحقق المقصود.

وكذلك الأمر في الحج، فمن المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم حج، وقال للناس: "يا أيها الناس خذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا"[(٤٤)].

ولا شك أن قدرًا من أعمال الحجيج قد وقع فيها الخلل أو الشك جراء هذه الطريقة، ولا أدل على ذلك من السؤالات التي أجاب عنها النبي صلى الله عليه وسلم في حجه، والتي تدل على قدر من الشكّ وقع للناس في مناسكهم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما: "وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم للناس بمنى والناس يسألونه، فجاءه رجل فقال له يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم انحر ولا حرج، ثم جاءه آخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت قبل ان ارمي؟ قال ارم ولا حرج، قال فما سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن شيء قدم ولا أخر الا قال افعل ولا حرج"[(٤٥)].

والتعليم على هذا النحو تميّز بأنه قد سمح ببروز كافة الإشكالات المحتملة في الحج، والتي تواجه الحجيج في تلك الحجة، فبعد أن علّمهم النبي صلى الله عليه وسلم مجمل المناسك، ترك لهم أن يباشروا التطبيق، ثمّ تلقى الأسئلة وأجاب عليها.

وبهذا بقي للناس تراثٌ علميٌ كافٍ لإقامة شريعة الحج، ووافٍ بالتنوع المسموح به في المناسك، وضامنٌ لقدرٍ من الاختلاف يبقي حموة الحراك العلمي بين العلماء وطلاب العلم في مسائل الحج وأحكامه، مما يؤدي إلى تراكم الإرث العلمي

في هذه المسائل عبر الأجيال، فيحفظ الحق من الضياع من خلال عظم التراث وتنوعه.

وبهذا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد طلب ممن مارس معه شيئًا من العلم العملي وضبطه؛ طلب منهم أن ينقلوه إلى من لا يعلمه، ولو فات الناقلين شيءٌ من فقهه وتفصيلاته، وهذه الطريقة مطابقة تمامًا لتدبيره في العلم التخصصي، لكنها تعتمد على طريقة عملية في التعليم، والله أعلم.

خاتمة المبحث الأول:

من خلال المطالب السابقة تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبع طريقة التوكيل التعليمي، على درجات متفاوتة:

- فوكّل كل الحاضرين ببلاغ الغائبين حِكَمَ العلم ومجملاته وما يتهيأ العموم لضبطه ونقله.
- ووكّل من عَلِمَ مسألة من الدين أن يُعلِّمها من يحتاج إليها.
- ووكّل من تدرّب على شيئ من أعمال الدين كالصلاة أن يتولى تدريب من لا يتمكن من عملها على النحو الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعملها عليها.
- ودرّب علماء ليكونوا مرجعًا للناس في عامة مسائل الدين، وراعى أنهم لن يحيطوا بعلمه.
- وأشرف على سائر هذه العمليات، التي أدت إلى نشر العلم في جنبات الأمة، وحالت دون احتكار طائفة له، وحفّزت الحراك العلمي والثقافي في المجتمع.

المبحث الثاني: أثر التدبير النبوي في التعليم على نماء علم الحديث.

من المتوقع بادي الرأي أن يكون ما فعله المحدثون هو امتداد للتعليم النبوي، فالقوم كانوا أهل اتباع، لا يبتدعون. كما أن أول جيل في المحدثين هو جيل الصحابة،

عنهم أخذ التابعون العلم والأسلوب. فلا شك أن التدبير النبوي (يحتمل جدًا) أن يكون له أثرٌ كبيرٌ في علم الحديث، في انتشاره، ونمائه، واكتمال علومه.

وسوف أسوق هنا تحليلا لتاريخ علم الحديث وجهود المحدثين في تكميل علومهم، لنقف على مداخل التدبير النبوي في نماء علم الحديث، فنجد أنه يمكن تقسيمه إلى مراحل:

أول هذه المراحل مرحلة (نشر الروايات)، وتكثير الوثائق والشهود، بحيث يُحفظ التاريخ من الضياع، والاحتكار. وقد ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم وضع هذه المرحلة، وسار المحدثون على طريقته في التعليم ونشر العلم وحفظه، حتى بنوا تاريخًا ثريًا بالرويات، التي وزعت بطريقة تسمح بتتبع الطرق، وإجراء المقارنات بينها، وتحرير وجه الصواب، وكشف الأوجه الخطأ، والحكم على الرواة والرويات بما يستحقونه في مجال القبول والرد.

والاستراتيجية التي اتبعها المحدثون في هذه المرحلة تضمنها حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**ليبلغ الشاهد الغائب**"، فوصلت رسالته إلى أصحابه فمن بعدهم من المحدثين فامتثلوها، ووعوا إستراتيجيته في التعليم، وفي الحفاظ على الدين (القرآن والسنة)، وأنه يقوم أساسًا على تكثيف نشره وبطريقة سهلة مُحْكَمَةٍ تكفل تدفق المعلومات إلى جهات متباينة متباعدة تضمن وصول الحقيقة للجميع، وتحول دون كتمان الحقيقة أو احتكارها.

وما زالت تلك طريقة المحدثين من الصحابة فمن بعدهم رضوان الله عليهم؛ حتى شهد بها البخاري رحمه الله (١٩٤-٢٥٦هـ) فبوّب في كتاب العلم من صحيحه: "بابٌ: لِيُبَلِّغِ العِلمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، قاله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم"[٤٦]، ويسجل رأي المحدثين في توزيع العلم ونشره وأنه: واجب، ويسجل للتاريخ أنهم قد امتثلوا أمره عليه الصلاة والسلام، وساروا على خطته، وامتثلوا طريقته.

وقد عملوا على هذه الاستراتيجية بصورة موسعة حتى كثرت طرق الحديث وتنوعت مخارجها، وانتشرت في البلدان، وأصبحت السنة في مأمن من الضياع، وتوفرت المادة الأساسية من الروايات، والتي تمثل (وثائق) تاريخهم، والتي هيأت فيما بعد لاستعمالها في النقد التفصيلي الدقيق. فنشر الروايات بتلك الطريقة المفتوحة سوف يوجد من خلاله: أوهامٌ، ودخلٌ كثيرٌ في العلم! لكن سيبقى له ما يدفعه وينفيه من الروايات الصحيحة.

وهنا تأتي المرحلة الثانية المهمة، وهي مرحلة تتبع طرق الحديث التي انتشرت في البلدان وجمعها واعتبارها، ليصفو صوابُها ويستبين خطؤها، وهنا استعمل المحدثون استراتيجية أخرى محكمة، غرضها جمع المحدث (أو طالب الحديث) أكبرَ قدرٍ ممكن من الروايات؛ ليتمكن من اعتبار الروايات ومقارنتها؛ **وهذه الخطوة متمثلة عندهم في: "الرحلة في طلب الحديث"،** ويبدأ الطالب عندهم السماع من أكابر شيوخ بلده، ثمّ يَرحل للسماع من شيوخ البلدان الأخرى، مقدمًا السماع من الشيوخ الكبار في المعرفة والوثاقة، وغالبًا ما يكونون من قديمي السماع؛ فيدرك بهم الأسانيد العالية.

ولذلك فإنهم لما احتاجوا إلى مقارنة المرويات في النقد وجدوا أمامهم تراثًا غنيًا من الروايات استطاعوا من خلال استقرائها ومقارنتها: تحرير الرواية من زيادات الرواة وأوهامهم، واستطاعوا رصد موافقات الرواة ومخالفاتهم، وتحديد ثقاتهم من ضعفائهم، واصطادوا الكذبة وسراق الحديث، مما مكنهم من النقد الدقيق.

قال أبو حاتم الرازي أحد النقاد الكبار في المحدثين: "لو لَمْ نكتُب الحديث من سِتين وجهًا ما عقلناهُ"(٤٧).

قال ابن المَدِيني إمام العلل: "الباب إذَا لم تجمع طُرقهُ لم يتبيَّن خَطُؤه"(٤٨).

وقال الإمام أحمد: "الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يُفسِّر بعضُه بعضا"(٤٩).

فالاستقراء في جمع الطرق التي سبق نشرها على طريقة (ليبلغ الشاهد الغائب)، ومقارنتها، مع المعرفة بأحوال رواتها، كان سبيلهم في نقد الحديث، وفي ترتيب طبقات الرواة، كما أنه كان سبيلهم في أمورٍ أخرى متعلقة بتحرير ألفاظ الحديث ومعانيه.

وهذا كله لولا توزيع العلم في جنبات الأمة على وفق طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ؛ ما كان ليوجد، إذ لم يكن لوجوده سبب.

وقد كانوا أثناء الرحلة يسلكون في بداية الأمر السماع باستقصاء (أو الكتابة على الوجه)، ثمّ بعد أن يصلوا إلى درجة عالية من المعرفة يتخففون في السماع ليكتفوا بانتقاء الأحاديث المهمة من الرواة، وقد كانوا يتفاوتون في معرفتهم بالروايات وطرقها، فإذا اجتمع كبراؤهم في رحلة لسماع أحاديث منتخبة من شيوخ بلدان لم يكتبوا عنهم من قبل؛ كانوا يطلبون من أكثرهم معرفة بالروايات ومخارجها واتفاقها واختلافها أن ينتخب لهم من روايات أولئك الشيوخ ما يشتمل على (فائدة) جديدة، سواءٌ كانت قيمته في علو سنده، أو في غرابته، أو في تأثيره على الموازنة والمقارنات، وهذه أمورٌ كانوا يدركونها تمامًا في وقتهم(٥٠).

قال الإمام الحاكم رحمه الله: "وسمعت جعفر بن محمد بن الحارث يقول: سمعت مأمون المصري الحافظ، يقول: خرجنا مع أبي عبد الرحمن إلى طرسوس سنة الفداء، فاجتمع جماعةٌ من مشايخ الإسلام، واجتمع من الحفاظ: عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إبراهيم مربّع، وأبو الأذان، وكيلجة، وغيرهم. فتشاوروا من ينتقى لهم على الشيوخ، فاجتمعوا على أبي عبد الرحمن النسائي، وكتبوا كلهم بانتخابه"(٥١).

والجدير بالذكر أن الرحلة ابتدأت في عصر الصحابة رضي الله عنهم، وهو زمن متقدم(٥٢)، وفي وقته المناسب جدًا، والجدير بالذكر وبالتأكيد أيضًا: أنه لولا طريقة (ليبلغ الشاهد الغائب) لما وجد الراحلون في العلم من يحدثهم على ذاك النحو الواسع الذي وجدوه.

وبعد أن رحل المحدثون إلى الآفاق ليسمعوا الأحاديث؛ أتت مرحلة استعمل فيها المحدثون استراتيجية محكمة جدًا؛ من آثارها الكبرى استثمار المقدار الذي سمعه طلاب الحديث في كل طبقة من شيوخهم في بلدانهم وفي رحلاتهم: في تكوين أساس من الروايات المشهورة التي هي عند كل من كتب الحديث، وبناء الروايات الغريبة التي انفرد في الوصول إليها أهل المعرفة والدراية بعد ذلك، ثم استُثمر كلُّ ذلك في مجال النقد، من خلال عملية الموازنة والمقارنة، وعملية ضبط التفرد وقياس أهلية المتفرد به؛ **هذه الاستراتيجية هي: المذاكرة**(٥٣).

والمذاكرة يستعملها الرواة لغرضين أساسين: تَذَكُّرُ ما عندهم من الروايات وإحيائها حتى لا تُنسى، واستفادة ما ليس عندهم مما هو عند أقرانهم؛ قال الخليل بن أحمد: "ذاكر بعلمك تذكر ما عندك، وتستفد ما ليس عندك"(٥٤).

والمذاكرة كانت تُعرف من زمن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان معناها في وقتهم: "تذكر الحديث والتفكر في معنى الحديث وفقهه"؛ أي مذاكرة متن الحديث وما اشتمل عليه من فوائد.

ومما روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك:

- عن علي رضي الله تعالى عنه قال: "تذاكروا الحديث فإنكم ألا تفعلوا يندرس"(٥٥).
- وعن عبد الله بن مسعود قال: "تذاكروا الحديث فإن ذكر الحديث حياته"(٥٦).
- وعن أبي سعيد الخدري قال: "تذاكروا الحديث فإن مذاكرة الحديث تهيج الحديث"(٥٧).

ثمّ انتقلت المذاكرة إلى التابعين بهذا المعنى، وزاد من معانيها عند التابعين أيضًا: "النظر في مَن روى الحديث من الصحابة والتابعين"، وفي زمن أتباع التابعين صارت المذاكرة تتوجه عند المحدثين (أولية) إلى: "النظر في طرق رواية الحديث ومخارجه، وضبط ألفاظ متنه" مع العناية بفقه الحديث.

وفي الطبقات التي تليها أصبحت المذاكرة عند المحدثين: قليلة العناية بفقه الحديث، تتوجه إلى حصر الروايات المسندة، ثم الموقوفة والمقطوعة لأنها تخدم المسندة؛ ثم استثمار هذا الحصر في تكميل أدلة الباب، ومقارنتها، وما يترتب على ذلك من معرفة: المشهور من الغريب، والصحيح من الضعيف، ومعرفة العدول من المجروحين من الرواة.

وفي هذه المرحلة صارت كثيرٌ من المذاكرات تقوم على هيئة التحدي بين المحدثين، في من يغرب على صاحبه بما لا يعرفه من الروايات، وهذا مؤشرٌ مهمٌ جدًا على بلوغ أهل هذه الطبقة درجة التأهل التام لعقد المقارنات الكافية بين الروايات واستثمارها في نقد الحديث.

قال علي بن المديني: "أعلمُ الناس بالحديث عبدُ الرحمن بن مهدي.. (قال): وقلت له: قد كتبت حديث الأعمش، وكنت عند نفسي أني قد بلغت فيها؛ فقلت: ومن يفيدنا عن الأعمش؟! (قال) فقال لي: من يُفيدك عن الأعمش! قلت: نعم. قال: فاطرق، ثم ذكر ثلاثين حديثًا ليست عندي!"(٥٨).

وعن ابن المديني أيضًا قال: "قيل لنا إن جماعة من أصحابنا الكوفيين يقدمون، فأتاني سليمان الشاذكوني يومًا في الصيف قبل نصف النهار في يوم صائف فدق عليّ الباب، فخرجت إليه، فقلت له: في هذا الوقت يا أبا أيوب؟! فقال: نعم، امض بنا إلى عبدالرحمن بن مهدي فإن أصحابَنا هؤلاء الكوفيين قادمين علينا، والساعة يلقون علينا ما (..) نعده للمذاكرة، فامض حتى نذهب إلى عبدالرحمن؛ فنسأله أن يحدثنا بما نرى أنه ليس عندهم، وبما نغرب به عليهم.

قال: فأتيناه فدققنا عليه الباب، فخرج علينا في ملحفة حمراءَ يمسَحُ عينيه من النوم، فقال: في هذا الوقت! فأخبرناه بما قصدنا له، فقال: اكتبوا، فأملى علينا منها

مائة حديث، فنظرت أنا وسليمان فإذا ليس عندنا منها خمسة أحاديث! والباقي كلها نستفيدها!

ثم قام، فقال: الساعة تفوتنا الظهر، فلما جزنا باب عبدالرحمن، قال لي سليمان: لعن الله مهدياً! فقلت: من مهدي؟ قال: أبو هذا الشيطان! كما خرج هذا من صلبه، ترى أنه لو كان قد نظر في كتبنا زاد على هذا!"[٥٩].

وبتتلمذ ابن المديني على ابن مهدي وأمثاله من النقاد أصبح هو المقدم في علل الحديث بين المحدثين في عصره، وعن ابن المديني أخذ البخاري رحمه الله، وفي هذه الحقبة راج النقد التفصيلي للأحاديث، وألفت الكتب الصحاح المعتمدة عند المحدثين رحمهم الله.

قال الحاكم رحمه الله (٤٠٥هـ): " إن الصحيح لا يعرف بروايته فقط، وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع، وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفى من علة الحديث"[٦٠].

وقد كان كبار الأئمة والحفاظ يجدون في المذاكرة حوافز نفسية كبيرة؛ عندما يُقِرُّ لهم أهل المعرفة والاختصاص بالفضل والتقدم.

قال أبو الحسين بن فارس (٣٩٥هـ): "سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها؛ حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) وأبي بكر الجعابي (٣٥٥هـ)، بحضرتي، فكان الطبراني يغلب الجعابي بكثرة حفظه، وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد، حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي! فقال: هاته. فقال: نا أبو خليفة نا سليمان بن أيوب وحدث بالحديث.

فقال الطبراني: أنا سليمان بن أيوب، ومني سمع أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو إسنادك؛ فإنك تروي عن أبي خليفة عني، فخجل الجعابي وغلبه الطبراني!

قال ابن العميد: فوددت في مكاني أن الوزارة والرئاسة ليتها لم تكن لي؛ وكنت الطبراني، وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث، أو كما قال"[٦١].

والسبب في توجه غالب همتهم في هذه الطبقات إلى الأسانيد ومعرفة مخارج الحديث وضبط ألفاظ متن كل رواية واختلاف الرواة في المتون والأسانيد: هو طول الأسانيد وتشعبها، مما حدا برواة الحديث إلى توجيه العناية إلى ضبط الأسانيد والألفاظ، وترك المبالغة في التفقه في معانيها لأولي الأهلية منهم؛ ممن جمع بين رواية الحديث والفقه فيه[٦٢]، ولغير المحدثين ممن يملك فقها ومعرفة. فهذا قدرٌ يمكن لغيرهم ممن عنايته الفقه أن يخدمه، أما ما توجهوا لخدمته من ضبط طرق الحديث ومخارجه وألفاظ رواياته؛ فليس يمكن لغيرهم أن يسدّ بابه أبدًا، فرحمهم الله.

وكان للمذاكرة آثارٌ مهمة على منهج المحدثين النقدي متعلقة: بضبط الأحاديث، والاستقصاء في جمع طرقها، ومقارنة الروايات، ومعرفة المشهور من الغريب، والصحيح من السقيم، وضبط الرواة، وما يتعلق بجرحهم وتعديلهم، وأصح الأسانيد، وأوهاها، وعواليها، وما تفرد به راو، أو أهل بلد دون سائر البلاد، وهكذا[٦٣].

وبهذا نعلم أن سير المحدثين وفق تلك المراحل كان له أبعد الأثر على تكوين علم الحديث ونمائه واكتماله.

فنشر السنة على طريقة "ليبلغ الشاهد الغائب"، ثم تتبع تلك الروايات وجمعها من خلال "الرحلة في طلب الحديث"، ثم الاستقراء والمقارنة والموازنة من خلال "المذاكرة"= هي التي أنضجت منهج النقد، وأكملت علوم الحديث، وجعلت من علم الحديث علم تزول الراسيات ولا يزول.

وبهذا نصل إلى أن التدبير النبوي في التعليم هو الذي أنشأ علم الحديث على هذا الوجه التي طوره بعده (المحدثون) عبر قرون، حتى اكتمل من خلال تكامل جهودهم، فتولى أتباعهم في كل عصر نقل علمهم وتداوله وخدمته.

المبحث الثالث: أوجه الاستفادة العلمية المعاصرة من التدبير النبوي.

إن الاستفادة من التجارب الناجحة أيًا كان مصدرها مطلب فطري، وهو توجيه إسلامي أصيل، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. فما عسى المسلمون أن يكون موقفهم حيال تجربة نبيهم الكريم في التعليم إلا التوجه التام إلى الاستفادة منها ومحاولة تطبيقها والاستفادة منها بحسب ظروف زمانهم.

وقد قمت بتحليل العملية التعليمية في زماننا، والتنظيم المؤسسي الذي حظيت به، واستقرأتُ الأدوات التي يمكن توظيفها لخدمة العملية التعليمية، وأعانني على ذلك تجربتي التعليمية المتنوعة في المراحل الدراسية المختلفة والمهام الإشرافية والإدارية التي أوكلت إلي(٦٤)، فظهر لي جوانب عدة يمكن أن تُفَعّل فيها هذه الاستراتيجية، فتحقق نتائج عالية، ومن ذلك:

أولاً: لابد وأن يشتمل كل درس علمي مهما كان تخصصيًا على حكمة توعوية ثقافية ترفع من أهلية المجتمع الثقافية، هكذا كل العلوم، وغالبًا ما تكون هذه الحكم متمثلة في الجانب التطبيقي الذي يحتاجه المجتمع من (الدرس)، فاستخلاص هذه الحكم، وبثها في المجتمع واجبٌ على المؤسسات العلمية.

مثال ذلك: في درس تعريف الحديث الصحيح من مادة "علوم الحديث"، يمكن استخلاص عدة رسائل اجتماعية مهمة، على النحو الآتي:

- ليس كل خبر صحيح، فينبغي التوقف عن نشر مالم تثبت صحته من الشائعات.

- قد يكون راوي الخبر ثقة لكننا يجب أن نحتاط فإنه يمكن أن يكون قد أخذه عن غير ثقة.
- أئمة الحديث قد بذلوا قصارى جهدهم لتبقى سنة النبي صلى الله عليه وسلم نقية محفوظة من الضياع أو التحريف.
- السنة النبوية محفوظة باقية في الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانيًا: كل درس علمي يمكن تلخيصه بحيث يتمكن الطالب من نقله إلى (الغائب) ملخصًا، وهذا مبني على تفاوت مستوى الغائب ومؤهلاته، فالعامي البسيط يكفي أن ننقل له من التخصصات العلمية الحِكَمَ التي تناسب المجتمع بأكمله (كما سبق في الأمثلة). أما القريب من التخصص أو المبتدء فيه فإنه من المناسب جدا أن نقدم له ملخص الدرس عن طريق استراتيجية إبلاغ الغائب، مهما كان هذا الملخص متخصصًا.

مثال ذلك: "في درس تعريف الحديث الصحيح ومحترزات التعريف من مقرر علوم الحديث"، فإنه يمكن تلخيص الدرس وإبلاغه لأصحاب العناية مكتملا. على نحو من العبارات التالية: "لكي يضمن المحدثون صحة الحديث فإنهم اشترطوا في راوي الخبر أن يكون معروفًا بالعدالة وبالضبط في سائر طبقات السند ليضمنوا درجة عالية من غلبة الظن بصحة روايتهم، وأضافوا وسيلتين إضافيتين للتحرز من أوهام الثقات وأخطائهم أو تدليسهم هي اشتراط السلامة من الشذوذ والعلة، وهم بهذه الشروط الخمسة يُخرجون الحديث الذي في إسناده انقطاع أو في راويه جرح أو تبين فيه خلل خفي يقدح في صحته".

ثالثًا: يشتمل القرآن والسنة على رسائل ثقافية في غاية القوة، ينبغي ربط الدروس العلمية بها، ونشرها للمجتمع على صيغة رسائل محددة، ليسهُل على كل من بلغته أن يسهم في إبلاغها (الغائب)، ومن رعاية الله تعالى للأمة وعناية الرسول الكريم بها فإن في نصوص القرآن والسنة ما يكفي الأمة من رسائل التوعية والتثقيف والإصلاح.

فمثلاً:

- "إن الله على كل شيء قدير" رسالة في غاية القوة تبني الثقة بالله في قلب المؤمن.
- "ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره". رسالة قوية لضبط النفس ومحاسبتها.
- "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، رسالة قوية في وجوب العدل والإنصاف ومعاملة الناس بما ترضاه لنفسك، وأن تكف عنهم ما تحب أن يكفه غيرك عنك.
- "إنما الأعمال بالنيات"، رسالة قوية في تعاهد النية وإصلاحها، وفي إصلاح سائر الأعمال.
- "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، رسالة قوية لنشر الأمن في المجتمع.
- "إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"، رسالة قوية للتشديد على وجوب إعطاء الناس حقوقهم وتحريم الاعتداء عليها.

رابعًا: وسائل الإعلام بمعزل عن نشر رسائل التعليم، وهي تنشر كل شيءٍ إلا أن نشرها لرسائل الإصلاح ليس منظمًا ولا مدروسًا؛ بحيث تبلغ به الحد الكافي لنشر الوعي الاجتماعي، فلو أن مؤسسات التعليم قدمت لوسائل الإعلام رسائل تثقيفية جاهزة للبث الإعلامي، وتولته الأخيرة من خلال برامج مشاركة مدروسة، لقدمت خدمة جليلة للمجتمع بسبب المساحات المفتوحة لها في المجتمع، سواء كانت وسائل الإعلام مقروءة أو مسموعة أو مرئية، وسواء كانت إعلامًا منظمًا تقوم عليه مؤسسات أو ما يسمى (الإعلام الحر).

خامسًا: تتنوع الواجبات والتكاليف الدراسية، فلماذا لا تكون هذه الاستراتيجية جزءً من هذه التكاليف، بحيث يتولى الطلاب أو بعضهم تعليم (الغائب)، وبالإمكان

أن يعد الطالب تقريرًا مختصرًا وفق نموذج معد سلفًا لهذا الغرض، يبين فيه تجربته في إبلاغ الغائب وعائدها عليه واستفادة (الغائب منها). سواء كان هذا الغائب ممن سيلقاه وجهاً لوجه أو سيتواصل معه عبر أيٍ من قنوات التواصل، فالأجهزة الذكية (مثلا) يمكن أن تُفَعّل بها هذه الطريقة إلى أقصى حدود، وبلا تكلفة.

سادسا: يمكن أن يعتمد المدرس طريقة التدريس هذه في القاعة، بحيث يُعطي الفكرة ويطلب من الطلاب نقلها فيما بينهم وكأنّ بعضهم حاضرًا والبعض الآخر غائب، ثم يعكسون الاتجاه، ليتمكنوا من هذه الطريقة وينمو فهمهم ومهاراتهم، ويتعودوا على نقل الفائدة (للغائب).

سابعًا: ينبغي للمدرس أن يعتمد استراتيجية تعليمية متكاملة تهدف لنشر العلم في المجتمع. وأن لا يكتفي بايصال العلم للطلاب الذين سيتلقون الدرس فقط.

ثامنًا: يمكن أن توجَّه منتديات المؤسسات التعليمية على الشبكة (الانترنت) إلى أن تكون ميدانًا لتبليغ (الغائب)، وفتح التساؤلات والحوارات حول ما يُلقى بقاعات الدرس، بحيث يورد الملخص ليتناوله الطلاب المنتظمون والمستفيدون من خارج المؤسسة التعليمية لنشر المعرفة وتنمية مهارات: التفكير والنقد وصياغة الكتابة الهادفة والتلخيص والحوار والاستدراك وغيرها.

والمجال يظل مفتوحًا لاستثمار هذه الطريقة بأي وجه من الوجوه الصحيحة في التعليم، فلربما فرض الواقع على بعض التجارب إتجاهًا مختلفًا. ولربما كانت بعض البرامج والمقررات الدراسية أصلح لتطبيق هذه الطريقة من بعض. فكل وجه من وجوه تطوير التدريس بالاستفادة من الطريقة النبوية سيكون مقبولا ما حافظ على روح هذه الطريقة: **وهي أن يعلم الناس من الحق ما يناسب مستواهم.**

الخاتمـة

أهم النتائج:

- اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم على استراتيجية تعليمية مختلفة عن استراتيجيات التدريس المشهورة.
- تضمنت هذه الاستراتيجية عددًا من الطرق التعليمية المعروفة.
- تقوم هذه الاستراتيجية على أن يستهدف المعلم المجتمع كله بالدرس، ويستهدف الحاضرون له ليكونوا وسيلة نقله لمن غاب عنه، ويستهدف المجتمع كله من خلال كل من تعلم شيئًا أن يعلمه لمن جهله. "إبلاغ الشاهدُ الغائبَ"، و"تعليم العالمُ الجاهل".
- يمكن أن نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قد (فوّض) بشكل واسع، وفي مهمة صعبة، هي التعليم.
- من أبرز أغراض النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الطريقة: نشر العلم في المجتمع، والمحافظة على العلم من الاندثار، ومن الاحتكار، وتفعيل عناصر الأمة في العمل لأجل مصلحتها، كفريق واحد.
- تتطلب هذه الطريقة أن تكون المعرفة صحيحة ومناسبة لحال المعنيين بها ومستواهم الثقافي.
- تتطلب هذه الطريقة أن يقدم المعلم المعرفة ملخصة بعبارات مناسبة للحفظ والفهم.
- تتطلب هذه الطريقة محفزات كافية للوصول بالطلاب إلى حدود التفاعل الكافي لنجاحها.
- تتطلب هذه الطريقة أن تكون المعرفة المقدمة للطلاب منظمة ومرتبة بطريقة علمية منطقية.

أهم التوصيات:

- يوصي الباحث بالاستفادة من الإستراتيجية النبوية في التعليم في جميع التخصصات التعليمية. وفي تدريس العلوم الإسلامية على وجه الخصوص.

- ويوصي بإقامة حلقات نقاش للمختصين في التربية والتعليم للوصول إلى نموذج تعليمي يعتمد إستراتيجية النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم ويوافق طبيعة عصرنا، ثم يعمم ويدرب المدرسون عليه.
- ويوصي باستخراج مكنون السنة في مجال التدابير النبوية، حيث حوت كثيرًا من الاختصارات في مجال الإنتاج والجودة، والنبي صلى الله عليه وسلم يعدُّ: القائد القدوة، والمدير القدوة، والمشرف القدوة. وسيجني المسلمون من استخراج تدابيره ما يحقق لهم طفرات هائلة في مجال التدابير.

الهوامش والتعليقات:

(١) هي: صحيح البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، ولا يكاد يفوت هذه الكتب من الأحاديث الصحيحة شيءٌ يؤثر على نتائج هذا البحث.

(٢) المصباح المنير للفيومي (١/ ١٨٩).

(٣) يفرق التربويون بين استراتيجيات التعليم وطرق التدريس:

فالإستراتيجية: هي خطة تبين كيفية الوصول إلى هدف محدد. وتشير إلى شبكة معقدة من الأفكار والتجارب والتوقعات والأهداف والخبرة والذاكرة التي تمثل هذه الخطة بحيث تقدم إطار عام لمجوعة من الأفعال التي توصل إلى هدف محدد.

الطريقة: آلية وكيفية تنفيذ كل فعل من الأفعال المطلوبة لتطبيق الإستراتيجية بالإعتماد على مجموعة من المصادر والأدوات.

فعلى ذلك فإن استراتيجيات التعليم هي التي تحدد طرق التدريس المناسبة لتحقيق أهداف تلك الاستراتيجيات. (كتاب: التدريس طرائق واستراتيجيات)، وينظر أيضًا: (استراتيجيات التدريس والتعليم) جابر عبد الحميد جابر، و(استراتيجيات التدريس) حسن حسين زيتون.

(٤) جملة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في عدد من المناسبات، وهي جزء من حديث أبي بكرة في وصف خطبة حجة الوداع، أخرجه البخاري في الصحيح (٦٧، وغيره) ومسلم (١٦٧٩)، وغيرهما، وعلق البخاري في صحيحه (١٠٣) عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليبلغ العلم الشاهدُ الغائبَ".

(٥) حديث صحيح أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٦، وغيره)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٥٥)، والحاكم في المستدرك (٦٢٨٠)، وغيرهم.

(٦) جزء من حديث مالك بن الحويرث، أخرجه البخاري في الصحيح (٦٣١، وله أطراف)، وابن حبان في صحيحه (١٦٥٨، وغيره)، وغيرهما.

(٧) أخرجه البخاري في الصحيح (٥٦٨٠)، وابن ماجة في السنن (٣٤٩١)، وغيرهما من حديث ابن عباس.

(٨) حديث صحيح سبق تخريجه ص١١

(٩) جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع (١، وغيره)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود في السنن (٢٢٠٣)، وابن خزيمة في الصحيح (١٩٣٤)، وابن حبان في الصحيح (٢٨٨)، وغيرهم.

(١٠) أخرجه البخاري في الصحيح معلقًا (٢١٤٢)، ومسلم في الصحيح (١٧١٨)، وغيرهما.

(١١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٠١)، والترمذي في الجامع (١٣١٥)، وابن حبان في الصحيح (٤٩٠٥)، وغيرهم.

(١٢) حديث صحيح أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١٤٢٩)، والإمام أحمد في المسند (١/٣١٣)، والحاكم في المستدرك (٢٣٤٥) وقال على شرط مسلم، وغيرهم.

(١٣) أخرجه البخاري في الصحيح(٣٥٦٧)، ومسلم في الصحيح (٢٤٩٣)، وغيرهما.

(١٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣)

(١٥) طريق صحيح، أخرجه أبو يعلى في المسند (٤٣٩٣).

(١٦) طريق صحيح، أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٢٤٤)، والبيهقي في الكبرى(٥٩٦٧).

(١٧) سبق تخريجه ص١١.

(١٨) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٧، وله أطراف)، ومسلم في الصحيح (١٦٧٩)، وغيرهما.

(١٩) صحيحٌ، جزءٌ من حديث أخرجه الترمذي في الجامع ٢٦٥٨

(٢٠) أخرجه البخاري في الصحيح (٦٧) وله أطراف، وابن حبان في الصحيح (٣٨٤٨).

(٢١) أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، وغيره.

(٢٢) الأجَادب: صِلاَب الأرض الَّتِي تُمْسِك الماء فلا تَشْرَبُه سريعا. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٦٩٨).

(٢٣) قيعان: جمع قاعٍ والقاعُ أرضٌ حرَّةٌ لا رَمْلَ فيها ولا يَثْبُتُ فيها الماء لاستوائها ولا غُدُر فيها تمسك الماء فهي لا تُنْبِتُ الكلأَ ولا تُمْسِك الماء. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٢٧٤).

(٢٤) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)، وغيرهما.

(٢٥) حديث صحيح، أخرجه أبو داود في السنن (٣٦٦٢)، والترمذي في الجامع (٢٦٥٧)، وأحمد في المسند (١/ ٤٣٦)، وابن حبان في الصحيح (٦٦)، من حديث ابن مسعود، وفي الباب عن غير ابن مسعود أيضًا.

(٢٦) وقد كان المحدثون يرتقبونها ويفرحون بها، حتى قال سفيان بن عيينة (١٩٨هـ): "ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة"، شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي رقم (٢٢).

(٢٧) أخرجة البخاري في الصحيح (٢٩٤٢) وغيره، ومسلم في الصحيح (٢٤٠٦)، وغيرهما.

(٢٨) أخرجه مسلم في الصحيح (١٨٩٣)، وغيره.

(٢٩) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٦٧٤)، وغيره.

(٣٠) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في الجامع (٢٦٨٥)، وغيره.

(٣١) وقد ورث المحدثون ذلك عنهم، فكان علمهم تلقيًا وأداءً كعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣٢) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح (٥١٩١)، ومسلم في الصحيح (١٤٧٩)، وغيرهما.

(٣٣) هكذا أسميتها بناء على أقرب وصف لها.

(٣٤) أخرجه البخاري في الصحيح (١٠٠١) وله أطراف، ومسلم في الصحيح (٦٧٧) وهذا لفظه، وغيرهم.

(٣٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٣٤٦١)، والترمذي في الجامع (٢٦٦٩) وقال حسن صحيح، وأحمد في المسند (٢/ ١٥٩) وغيره، وابن حبان في الصحيح (٦٢٥٦)، وغيرهم.

(٣٦) الحديث أخرجه البخاري في مواضع من الصحيح (١٣٩٥، وله أطراف)، ومسلم في الصحيح (١٩)، وغيرهما.

(٣٧) أخرج البخاري في صحيحه (٢٢٦١) وغيره، ومسلم في صحيحه (١٧٣٣)، من حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه و سلم بعثه ومعاذا إلى اليمن فقال: "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا".

(٣٨) أخرج البخاري في صحيحه (٣٩٢٥) وغيره، وأحمد في مسنده في مسنده (٤/ ٢٨٤) وغيره، وابن حبان في صحيحه (٦٢٨١) وغيره، وغيرهم .

(٣٩) أخرج البخاري في صحيحه (٢٣١٥) وله أطراف، ومسلم في صحيحه (١٦٩٧)، وغيرهم.

(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢٨) وله أطراف، ومسلم في صحيحه (٦٧٤)، وغيرهم.

(٤١) وقد نص على ذلك ابن حبان في صحيحه (١٦٥٨).

(٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٨٩)، وأبو داود في السنن (١٥٩١)، والنسائي في المجتبى (٢٤٦٠)، وغيرهم.

(٤٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٦٠).

(٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٩٧)، وأبو داود في السنن (١٩٧٢)، والنسائي في المجتبى (٣٠٦٢)، وغيرهم.

(٤٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٤) وله أطراف، ومسلم في صحيحه (١٣٠٦)، وغيرهم.

(٤٦) الجامع الصحيح للإمام البخاري (١٠٤).

(٤٧) الشذا الفياح للأبناسي (١/ ٤٠٩)، فتح المغيث للسخاوي (٢/ ٣٧٠) الكتب العلمية، وتدريب الراوي للسيوطي (٢/ ١٤٩).

(٤٨) معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح، نوع معرفة المعلل (ص٢٦٠)، وأسند نحو هذه العبارة عن ابن المديني ابن حبان في مقدمة المجروحين (١/ ٣٣) .

(٤٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (٢/ ٢١٢).

(٥٠) ينظر: "الرحلة في طلب الحديث"، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى.

٥١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص٢٨١.

(٥٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (١/ ١٠٩).

(٥٣) ينظر بحث "أنواع المذاكرة عند المحدثين آثارها والفوائد المترتبة عليها" للدكتور: عبد الرزاق موسى أبوالبصل، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢١، العدد الأول، عام٢٠٠٥م.

(٥٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٨٤٦).

(٥٥) إسناده صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٨٩)، والحاكم في المستدرك (٣٢٣)، وقال على شرط الشيخين.

(٥٦) إسناده صحيح، أخرجه الدارمي في مسنده (٦٠٣)، والحاكم في المستدرك (٣٢٤)، وقال على شرط الشيخين، وغيرهما.

(٥٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٢).

(٥٨) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ١٩٤).

(٥٩) التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم للمقدمي (٢٠٧).

(٦٠) معرفة علوم الحديث، النوع (١٩) معرفة الصحيح والسقيم.

(٦١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٨٥٠).

(٦٢) وهم قلةٌ من المحدثين، ومن مشاهيرهم: أحمد، وابن المديني، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، في آخرين، رحمهم الله.

(٦٣) منهج المحدثين في النقد وعلاقته بالمناهج النقدية التاريخية، تأليف الدكتور عبد الرحمن بن نويفع السُّلمي ص١٠٠

(٦٤) حيث درَّستُ بحمد الله في: المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية ومرحلة الماجستير، وخارج المؤسسات التعليمية النظامية (في المسجد)، وتوليت مهام إشرافية وإدارية وتطويرية للعملية التعليمية، فالحمد لله على ما يسّر من خبرة.

قائمة المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية.

٢- استراتيجيات التدريس (رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلم)، **حسن حسين زيتون**، عالم الكتب، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٣م.

٣- استراتيجيات التدريس والتعليم، **جابر عبد الحميد جابر**، دار الفكر العربي، القاهرة، الأولى، ١٩٩٩م.

٤- أنواع المذاكرة عند المحدثين آثارها والفوائد المترتبة عليها: **د. عبد الرزاق موسى أبو البصل،** مجلة جامعة دمشق، المجلد٢١، العدد الأول، عام٢٠٠٥م.

٥- التدريس طرائق واستراتيجيات، **إعداد مركز نون للتأليف والترجمة**، نشر جمعية المعارف الإسلامية، الأولى ٢٠١١م.

٦- تقريب التهذيب، **لابن حجر العسقلاني،** عناية: عادل مرشد، الرسالة، الأولى، ١٤١٦هـ .

٧- تهذيب التهذيب، **لابن حجر،** ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر، الأولى، بيروت، ١٤١٥هـ.

٨- تهذيب الكمال، **لأبي الحجاج المزي،** تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٤٠٠هـ .

٩- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، **للخطيب البغدادي،** تحقيق د. محمود الطحان، المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٠- الرحلة في طلب الحديث، **تأليف: الخطيب البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر،** دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ.

١١- سنن ابن ماجه، **ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،** دار الكتب العلمية.

١٢- سنن **أبي داود السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس،** دار الحديث، حمص = **ونسخة أخرى بتحقيق: محمد عوامه،** دار اليسر، الثالثة،١٤٣٠هـ

١٣- سنن الترمذي (الجامع)، **لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون** طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت= **نسخة أخرى بتحقيق: شعيب الأرنؤوط،** مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤- السنن الكبرى للبيهقي، **تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة ١٤١٤هـ**

١٥- السنن الكبرى للنسائي، **أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط،** طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ

١٦- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، **اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه: عبدالفتاح أبو غدة، طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت، تصوير مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.**

١٧- سير أعلام النبلاء، **للذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط،** مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشر، ١٤١٧هـ .

١٨- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، **تأليف: البرهان الأبناسي، تحقيق صلاح هلل،** مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٩- شرف أصحاب الحديث، **للخطيب البغدادي،** تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،الأولى ١٤١٧هـ.

٢٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، **تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت .**

٢١- صحيح ابن خزيمة، **تحقيق وتعليق: محمد مصطفى الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤١٢هـ .**

٢٢- صحيح مسلم بشرح النووي، **طبع دار الكتب العلمية، الأولى، عام ١٤١٥هـ.**

٢٣- صحيح البخاري، **تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم، بيروت ١٩٨١م.**

٢٤- الطبقات الكبرى، **لابن سعد،** تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى ١٤٢١هـ.

٢٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، **للحافظ ابن حجر العسقلاني، إخراج ومراجعة محب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، دار الريان، القاهرة، عام ١٤٠٧هـ.**

٢٦- المجروحين، **لابن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد،** المعرفة، ١٤١٢هـ.

٢٧- المستدرك على الصحيحين، **للحاكم النيسابوري، تصوير دار المعرفة عن الطبعة الهندية.**

٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، **بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت .**

٢٩- مسند **أبي** يعلى الموصلي، **تحقيق: حسين سليم أسد،دار الثقافة العربية، دمشق، الأولى، ١٤١٣هـ.**

٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، **لأحمد بن محمد المقري الفيومي،** المكتبة العلمية، بيروت.

٣١- معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، **تأليف: أبي عبدالله الحاكم، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم،** دار ابن حزم، الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٢- مقدمة ابن الصلاح، **تحقيق الدكتورة: عائشة بنت الشاطئ،** تصوير المكتبة الفيصلية، طبعة عام ١٤١٥هـ، محررة .

٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، **لأبن الأثير،** تحقيق طارق الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.